مجلة جامعة الملك سعود، م١٢، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (٢)، ص ص ٢٦٧-٣٠٥ (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

الفروق في الخصائص النفسية للكذوب في ضوء متغيرات الجنس ومستوى تعليم الوالدين

رشاد علي عبدالعزيز موسى وإبراهيم سالم محمد الصباطي

قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة الملك فيصل،

الأحساء، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث. هدفت الدراسة الكشف عن الفروق في الخصائص النفسية للكذوب في ضوء متغيرات الجنس ومستوى تعليم الوالدين وفقا للفروض التالية:

١- لا يوجد أثر دال إحصائيا لمتغير الجنس في الخصائص النفسية للكذوب.

٢- لا يوجد أثر دال إحصائيا لمتغير مستوى تعليم الأب في الخصائص النفسية للكذوب.

٣- لا يوجد أثر دال إحصائيا لمتغير مستوى تعليم الأم في الخصائص النفسية للكذوب.

٤- لا يوجد أثر دال إحصائيا لتفاعل متغيري الجنس ومستوى تعليم الأب في الخصائص النفسية للكذوب.

٥- لا يوجد أثر دال إحصائيا لتفاعل متغيري الجنس ومستوى تعليم الأم في الخصائص النفسية للكذوب.

٦- لا يوجد أثر دال إحصائيا لتفاعل متغيري الجنس ومستوى تعليم الأب ومستوى تعليم الأم في الخصائص النفسية للكذوب.

٧- لا يوجد أثر دال إحصائيا لتفاعل متغيرات الجنس ومستوى تعليم الأب ومستوى تعليم الأم في الخصائص النفسية للكذوب.

ولاختبار صحة الفروض تم تصميم مقياس الخصائص النفسية للكذوب وحساب خصائصه السيكومترية من صدق وثبات، تم تطبيقه على عينة قوامها ١٨٤ طالبا وطالبة من طلاب كلية التربية -

جامعة الملك فيصل. وانتهت النتائج إلى رفض الفرض الأول، بينما أيدت الفروض الثاني، والثالث، والرابع، والخامس، والسادس، والسابع، وتم تفسير النتائج في ضوء الإطار النظري لمفهوم الكذب، والانتهاء ببعض التوصيات والبحوث المقترحة.

التأصيل النظري لمفهوم الكذب

لم يجتمع علماء الأخلاق وعلماء النفس وعلماء الاجتماع على الإشادة بفضيلة كفضيلة الصدق، والتنويه برذيلة كرذيلة الكذب وخطره على الأفراد والجماعات.

كما لا نجد دينا واحدا قد ترك الكذب من غير أن ينهى عنه ويبين مضاره، والإسلام قد عني عناية فائقة بشرح الكذب وأضراره والحث على الصدق والتمسك به. وجاء القران والسنة بذم الكذب وبما ينتظره من غضب الله وعذابه وسوء مصيره، حيث قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [سورة غافر، آية ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [سورة الزمر، آية ٦٠] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [سورة النحل، آية ١٠٥].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

والكذب هو مرض أشبه بالميكروب المستوطن في البيئة الإنسانية، فقلما يخلو منه إنسان وندر أن تنظف منه بيئة ويصعب علينا أن نجد طوائف من البشر تنزهت عن الكذب وتبرأت منه، ولولا الأنبياء والصديقون والشرفاء من بنى الإنسان لكانت كل نسمة في الهواء ملوثة بسموم الكذابين، والكذاب لن تكون معاملته صادقة ومن ثم فلن يكون الكذاب زعيما صادقا، ولا حاكما صادقا، ولا موظفا صادقا، ولا عاملا صادقا، ولا عالما صادقا.

ولو استعرضنا مشاكل العالم كله لوجدناها ترجع إلى شيء واحد هو الكذب، كذب السياسي على شعبه، وكذب العالم على العامة، وكذب التاجر على زبائنه، وكذب

الصديق على صديقه، ولو صدق هؤلاء جميعا لاستقامت الحياة واستفاضت الثقة واطمأن الناس بعضهم إلى بعض فوفروا على أنفسهم خصومات وعداوات وخلافات لم تنشأ إلا من فقدان الثقة بالأحاديث والمواثيق والمعاملات.

تعريف الكذب

الكذب لغة: وهو نقيض الصدق، كَذَبَ، يكذُبُ، كَذبا، كذْبا، كذْبة، كَذبة، وكذابا وكذّابا، ورجل كاذبٌ، وكَذّابٌ وتكْذابٌ، وكَذوبٌ، وكَذوبةٌ، وكُذَبَةٌ، وكَذْبَان، وكَيْذُبانٌ، ومَكْذبَانٌ، ومَكْذبَانة، وكُذُبْذُبان، وكُذُبْذُبٌ، وكُذُبْذب. والكُذُب جمع كَذُب، مثل، صُبُر وصُبُور. وكَذَبَ الرجلُ: أخْبَر بالكَذب [١، ص٧٠٤].

ويمكن تعريف معنى الكذب اصطلاحا بمعنى: أنَه إذا تحدث إنسان بخبر ما... وكان كلامه الذي قاله مطابقا لما يعتقد في الموضوع الذي تحدث به ومخالفا للواقع، فإنه منسجم مع نفسه، وهو في حديثه صادق غير كاذب إلاَّ أن كلامه هو بحد ذاته كذب لأنه مخالف للواقع والحقيقة.

أما إذا تحدث إنسان بخبر ما... وكان كلامه الذي قاله مخالفا لما يعتقد في الموضوع الذي تحدث به، ومطابقا للواقع والحقيقة، فإنه غير منسجم مع نفسه، وهو في حديثه كاذب غير صادق، إلا أن كلامه هو بحد ذاته صدق، لأنه مطابق للواقع والحقيقة. وعلى هذا فقد نصف المتكلم بأنه كاذب لأنه تكلم على خلاف اعتقاده، مع أن كلامه قد يكون موصوفا بالصدق لأنه موافق للواقع والحقيقة [٢، ص ٥٢٦]. ونستخلص هنا أنه لكل من الكلام والمتكلم وصف ملائم لواقع حاله ويفضل التفريق بينهما.

ومن أمثلة ذلك قول المنافقين المتظاهرين بالإسلام، إذ قالوا بألسنتهم كلاما حقا مطابقا للواقع، وهو كلام بحد ذاته صدق، إلا أنهم لا يعتقدونه، فهم كاذبون في إعلانه، ولذلك وصفهم القرآن بأنهم كاذبون، لأنهم منافقون لا يعتقدون ما يقولون، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون، آية ١].

فهؤلاء المنافقون قالوا لرسول الله ﷺ: نشهد إنك لرسول الله، وقولهم هذا كلام

حق وصدق، إلا أنهم مع ذلك كاذبون لأنهم قالوا كلاما لا يعتقدونه ولذلك قال تعالى قبل إعلان أنهم كاذبون: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، وذلك لأنهم لا يعتقدون ما يقولون. ويرى علماء البلاغة أن الله أكذبهم بقولهم: (نشهد) لأن معنى نشهد: نقول بألسنتنا ما هو في قلوبنا، وهذا مخالف للحقيقة والواقع، إذ قلوبهم مخالفة لما ذكروه بألسنتهم.

ولذلك يمكن أن نستخلص هنا خلاصة أخرى وهي: أن كل إنسان يقول بلسانه خبرا على خلاف ما في قلبه من اعتقاد يقدم شهادة بما يعتقد، سواء ذكر الشهادة أم لم يذكرها، وبذلك يصح لنا أن نسميه كاذبا. أي يجب أن نفرق في الوصف بين الكلام والمتكلم، فنصف كلا منهما بما يناسب واقع حاله فالكلام الصدق هو ما كان مطابقا للواقع والحقيقة والمتكلم الصادق هو المخبر بما يطابق اعتقاده [٢، ص ٥٢٧].

وكما يكون الكذب في القول كذلك يكون في الفعل... فقد يصدق الناس في تعبيراتهم الفعلية، وقد يكذبون، فإذا كانت تعبيراتهم الفعلية مطابقة في دلالتها للحقيقة والواقع، فإنها تكون أفعالا صادقة، وإذا كانت غير مطابقة فإنها تكون أفعالا كاذبة.

فقد يفعل الإنسان فعلا يوهم به حدوث شيء لم يحدث أو يعبر به عن وجود شيء غير موجود، وذلك على سبيل المخادعة بالفعل مثلما تكون المخادعة بالقول، وربما يكون الكذب في الأفعال أشد خطرا وأقوى تأثيرا من الكذب في الأقوال.

وكما يقولون المثال يوضح المقال... ما حكاه الله تعالى لنا من أقوال إخوة يوسف عليه السلام إذ وأفعالهم جاؤوا أباهم عشاءً يبكون بكاءً كاذبا، وقالوا (كذبا): ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [سورة يوسف، الآيتان ١٧، ١٨]. فجمعوا بين كذب القول وكذب الفعل.

فبكاؤهم فعل كاذب، قصدوا به التعبير لأبيهم عن حزنهم على يوسف الذي أكله الذئب بزعمهم، وهم الجانون عليه إذ ألقوه في الجب. وقصتهم التي أخبروا عنها قصة مفتراة من عند أنفسهم، فأقوالهم فيها أقوال كاذبة، وتلطيخهم قميص يوسف بدم شاة ذبحوها ليوهموا صحة ما زعموه من أكل الذئب له، فعل كاذب، والدم ليس دم يوسف بل هو دم كذب، وهكذا لفقوا عدة أكاذيب قولية وفعلية ليستروا بها ما جنوه على أخيهم.

ونستطيع أن نعتبر الأعمال التي يقوم بها المراؤون من قبيل الكذب العملي، وأبلغ منها الأعمال التي يعملها المنافقون ليخادعوا بها المؤمنين فهي من قبيل الكذب العملي، وهي مضافة إلى أكاذيبهم القولية التي زعموا فيها أنهم مسلمون مؤمنون موالون.

والحركات التعبيرية الكاذبة كإشارات اليد والعين والحاجب والرأس وبقية الجوارح هي الإشارات التي تكون دلالاتها غير مطابقة للواقع والحقيقة، وكم من إشارة فعلية تقوم مقام القول في دلالاتها. ومن الإشارات الفعلية ما هو كاذب ومنها ما هو صادق، وما أكثر ما يكذب الناس بإشاراتهم وبأفعالهم، ولعل الكذب في الأفعال أكثر عند الناس من الكذب في الأقوال [٢، ص ص ٥٢٩ ، ٥٣١].

ونستخلص هنا أيضا خلاصة ثالثة: أنه لما كان الكذب والصدق مما توصف بهما الأقوال والأفعال كان لنا أن نقول: إن كل ذي دلالة مقصودة إما أن تكون دلالته كاذبة وإما أن تكون صادقة، والكاذب منها ما خالف الواقع والحقيقة، والصادق منها ما وافق الواقع والحقيقة [٣، ص ٣٣٧].

ولأهمية موضوع الكذب وخطورته، ورد في القرآن الكريم مصطلح الكذب (كمصدر) في أكثر من مائتين وستين موضعا. وسنورد هنا بمشيئة الله تعالى بعضا من هذه الأدلة القرآنية التي ذكرت مصطلح الكذب سواء كانت على المعنى اللغوي أو الاصطلاحي مما تقدم شرحه سابقا.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [سورة غافر، آية ٢٨]، ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [سورة الزمر، آية ٦٠]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ﴾ [سورة النحل، آية ١١٦]، ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة يوسف، آية ٢٧] ﴿ وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴾ [سورة يس، آية ١٥]، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [سورة البقرة، ١٠]، ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ﴾ [سورة الزمر، آية ٣٢]، ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴾ [سورة الحج، آية ٤٢]، ﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [سورة الملك، آية ٩] ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ [سورة التغابن، آية ١٠]، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ

المَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [سورة الرحمن، الآيتان ١٧ ، ١٨]، ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [سورة الأنعام، آية ٣٣].

كما ورد في السنة المطهرة أحاديث شريفة تبين خطر جريمة الكذب وعظمها وآثارها السيئة على الفرد والمجتمع: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا» [٤، ص ١٩٨]. وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه من حديث طويل قال: قال النبي ﷺ: «رأيت رجلين أتياني قالا: الذي رأيته يشق شدقه... فكذاب، يكذب بالكذبة تُحملُ عنه حتى تبلغ الآفاق... فيُصنع إلى يوم القيامة» [٥، ص ٥٠٧]. وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلا من نتن ما جاء به» [٦، ص ١٥٥]، رواه ابن أبي الدنيا والترمذي. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما كان خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان الرجل يكذب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذبة، فما يزال في نفسه عليه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة» [٦، ص ١٥٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»، رواه البخاري ومسلم. وزاد في مسلم: «وإن صلى، وصام، وزعم أنه مسلم» [٧، ص ٤٨].

وعن بهز بن حكيم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له» رواه أبو داود والترمذي وحسنه النسائي والبيهقي. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر» رواه مسلم. وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا.. ؟؟ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، أو قول الزور، وكان رسول الله ﷺ متكئا... فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» [٧، ص ٨١]. وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من حلف على يمين بإثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان» متفق عليه. ويقول رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» متفق عليه.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب» رواه الإمام أحمد. بل إنه ليُعتبر نقل كلّ ما يسمع وروايته لغيره قبل التثبت من صحته من الكذب المحرم الذي نص عليه الرسول ﷺ بقوله: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع» [٨، ص ٢٩٤].

صور الكذب

يمكن أن نرجع صور الكذب إلى الرذائل الآتية:

١- المبالغة في النقل وزخرفة القول

بما يلقي في روع السامع خلاف الحقيقة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [سورة غافر، آية ٢٨]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢] أي ولا تخلطوا الصدق بالكذب. ويقول فرنسيس بيكون Francis Bacon «حتى أولئك الذين لا يعرفون الاستقامة والأمانة في معاملتهم، ويعترفون لك بأنها فخر الطبيعة الإنسانية، وبأن خلط الحق بالباطل كخلط الذهب بالفضة، قد يسهل استخدام المعدن، ولكنه يحط من قيمته، لأن هذه السبل الملتوية كسير الأفعى سيرا سافلا على بطنها لا على أقدامها» [٩، ص ١٩]. ولنفترض أن أحد الأشخاص نقل لك حادثة ما، فأضاف إليها شيئا لم يحدث، كما لو قال لك: إن حريقا نشب في هذه المنطقة، فالتهم عشرين منزلا مثلا..، في حين أن الحريق لم يلتهم إلا منزلا أو اثنين. هذا النقل للحادث، عملية (كذب).

ولنفترض أيضا أن أحد الأشخاص أضاف إلى نفسه عملا بطوليا في الإنفاق أو العلم أو الخدمات الاجتماعية الأخرى ولكنه - في الواقع - لم يقم بأي عمل في هذا النطاق، أو أنه قام فعلا بعمل ما ولكنه ليس بالحجم الذي نقله إليك. كما لو قال مثلا، إنه يقضي ثلاثة أرباع وقته في خدمة الآخرين، في حين أن خدماته لا تتجاوز الساعة أو الساعتين مثلا. هذا الإخبار عن خدماته، يعد عملية (كذب) أيضا.

وحين نتأمل في هذين النموذجين من السلوك الكاذب، نجد أن الحالة الأولى تتصل بموضوع خارجي لا علاقة له بشخصية الناقل للخبر، أي الخبر الذي نقله الشخص عن حادثة الحريق. أما الحالة الثانية وهي: نقله بأنه قد قدم خدمات اجتماعية للآخرين تظل ذات صلة بـ (ذاته) الشخصية، على عكس الحالة الأولى. وبالرغم من الاختلاف بين مظهري السلوك المتقدمين، إلا أنهما - في الواقع - يصدران من جذر واحد في الممارستين الكاذبتين، ألا وهو إضفاء شيء ما لا واقع له [١٠، ص ١٤٢].

٢- الاقتصار على بعض الحقيقة [٩، ص٢٠]

وما أشبه هذا الصنف من الكذابين بمن يستشهدون من القرآن بآيات مبتورة يفسد البتر معناها! كأن يقولوا: قال الله تعالى﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ** ﴾ [سورة الماعون، آية ٤]، أو ﴿ **لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ** ﴾ [سورة النساء، آية ٤٣]، ﴿ **يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾ [سورة المائدة، آية ٦٤]، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ** ﴾ [سورة آل عمران، آية ١٨١].

٣- النفـــاق

وهو أن يظهر المرء خلاف ما يبطن، اشتقته العرب من (النافقاء)، وهي إحدى حجر الجربوع، يكتمها ويظهر غيرها ليلجأ إليها عند الحاجة. ومن هذا سمي الرجل الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر منافقا، فهو كذب عملي. ومن هذا النوع من يظهر الصداقة ويبطن العداوة، وكل من يظهر بمظهر ينافي حقيقته فهو منافق مذموم [١١، ص ٤٤٦]، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** ﴾ [سورة النساء، آية ١٤٥].

٤- الملـــق

وهو التزلف إلى الغير بكيل المدح له من غير استحقاقه إياه. بمعنى أن تمدح آخر بما لا تعتقده فيه، لتدخل على قلبه السرور رجاء أن تنال منه منفعة أو نحو ذلك، وهو من أقبح الصفات، والتملق شر ممن يجاهر العداوة ويذم علانية، لأن هذا يسهل اتقاء شره [١١، ص ٤٤٧].

٥- خلف الوعد

وهو من ضروب الكذب المكروهة، وهي صفة تدل على أن صاحبها ذو شخصية ضعيفة لا يرجى منها خير ولا تكون موضع ثقة، وهي تنزع المودة من بين الأفراد، ويحصل منها كثير من الإضرار، من تضييع وقت الغير سدى، أو إيجاد أمل كاذب عنده، أو نحو ذلك [١٢، ص ٢٣٢]. لهذا وصف الرسول ﷺ خلف الوعد بأنه من صفات المنافقين فقال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» رواه البخاري ومسلم. فمن وعد آخر وعدا وفي نيته عند وعده ألا يفي فقد كذب، وكذلك من كان في نيته الوفاء ثم أخلف لا بعذر أو لعذر يستطيع التغلب عليه [١١، ص ٤٤٦].

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانَا من فَضْله لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ منَ الصَّالحينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْله بَخلُوا به وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نفَاقا في قُلُوبهمْ إِلَىٰ يَوْمِ يلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [سورة التوبة، الآيات ٧٥ - ٧٧].

٦- الافتخار والادعاء

مما هو منبع كثير من الشرور الأخلاقية. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [سورة لقمان، آية ١٨] لأن مجرد حبك لذاتك لا غبار عليه ما دمنا نعرف أن كل تحركاتنا قائمة على المتعة للذات، وإلا لما كان أي معنى لتحركاتنا، والكذب والإعجاب بالذات، كلاهما من أنماط اللذة غير الموضوعية. كلاهما إحساس مرضي يكشف عن عصاب الشخصية وعدم توازنها الداخلي، ومع ذلك يظل الكذب مظهرا أشد مفارقة من الإعجاب بالذات مع إن الإعجاب بالذات في بعض أشكاله يحبط كل الأعمال العبادية التي يمارسها الشخص [١٠، ص ص ١٤٥، ١٤٧]. فمثلا عندما تتباهى أمام الآخرين بإنجازاتك في ميدان العلم أو الخدمة الاجتماعية مع كونك صادقا في نقلك لحقيقة الإنجاز الذي قمت به، هل تتصور أنك صادق بالفعل في هذا الادعاء؟ إذا زعمنا بأنه إنجاز ذاتي يعتمد على إمكانياتنا يظل مجرد زعم، مجرد كذب. وهذا يفسر لنا واحدا من مظاهر الحاجة غير المشروعة إلى التقدير الاجتماعي، حيث يتخذ أكثر من مظهر للبروز في ميدان السلوك.

٧- القذف بالباطل

والافتراء وهو اختراع قصة لا أصل لها، وهو من ضروب الكذب الذي حرمها الإسلام، ويقصد به في الغالب النيل من إنسان في شرفه وعمله، وهو يسبب كثيرا من الأضرار والبلايا ولهذا حذر الله منه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [سورة الحجرات، آية ٦]، ففي هذه الآية يرشد الله المؤمنين ويحذرهم أن يأخذوا بالأخبار قبل الكشف عنها والتثبت منها ومن سيرة حاملها لئلا يصيبوا أقواما بسبب الجهل فيصبحوا بعد ذلك آسفين نادمين [١٢، ص ٢٣٣]. فمن أقبح الكذب اتهام الناس بالفاحشة، وبما لم يرتكبوه من آثام، ففيه ظلم للناس، وعدوان على أعراضهم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [سورة النحل، آية ١٠٥].

٨- شهادة الزور

وهي من أنواع الكذب التي يترتب عليها أقبح الشرور الاجتماعية وأخطر المشاكل التي تودي بالأرواح وتؤدي إلى ضياع الحقوق ونشر الفوضى، لهذا قرن الإسلام إثمها بإثم الإشراك بالله الذي هو شر الآثام في الإسلام. لذلك يجب التباعد عنها لأنها من الكبائر قال الله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [سورة الحج، آية ٣٠]، والزور في اللغة: الكذب والباطل، وأصل مادة الكلمة يدل على معنى الميل، والكذب والباطل ميل عن الحق. ولقد وصف الله عباده المقربين بأنهم لا يشهدون الزور [٢، ص ٥٠٠]. فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [سورة الفرقان، آية ٧٢].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئا فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت» [٤] رواه البخاري ومسلم.

٩- الكذب على الله ورسوله

من أشنع صور الكذب، الكذب على الله وعلى الرسول، لأنه افتراء في الدين،

وتلاعب بشرائع الله لعباده، وتجرؤ عظيم على الله. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الأنعام، آية ٩٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [سورة هود، الآيتان ١٨، ١٩]. ونظير الكذب على الله الكذب على الرسول لأن أقوال الرسول حجّة في الدين، ومصدر من مصادر التشريع فيه، فالكذب عليه تلاعب في الدين وافتراء على الله، ولذلك جاء في الحديث المتواتر أن الرسول ﷺ قال: «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخاري والإمام أحمد وابن ماجة.

١٠- الكذب لإضحاك الناس

روي عن الإمام أحمد والترمذي وأبي داود والنسائي، عن بهز بن حكيم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل لمن يحدِّث فيكذب ليضحك به القوم، ويلٌ له، ويلٌ له»، لأن الذي يفعل ذلك قد استهان أولا بأمر الكذب واستلذه، فلا يلبث مثل هذا أن يكون الكذب عادة له ويصبح من الكاذبين الذين يتكرر كذبهم ولا يصدق لهم أحد حديثا حتى لو كان صادقا، والشريعة الإسلامية حريصة دائما على الاحتياط في درء الفساد، فمن أجل ذلك كرر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة الويل التي تدل على العذاب والسخط في شأن من يكذب ليضحك الناس [١١، ص٤٤٤]. وحين تدعو الحاجة إلى وضع أمثلة متخيلة غير واقعية، للعظة أو الترويح عن النفس، أو وضع طرائف ونوادر فيها تسلية أو موعظة، فالذي يظهر لي أن الشرط في جوازها أن لا تتناول أشخاصا معنيين، وأن يذكر واضعها ما يشعر بأنها موضوعة مصنوعة، أو يكون مضمونها واضح الوضع والصناعة، كالتمثيليات والقصص المصنوعة المبين فيها أنها قصص متخيّلة غير واقعية كالقصص التي يضعها واضعوها على ألسنة الحيوانات، نظير ما صنع صاحب كتاب كليلة ودمنة [٢، ص٤٩٦].

١١ - اليمين الغموس

إن من أقبح الكذب الذي يؤكد باليمين، وهو الحلف بالله لتوثيق الكلام الكاذب، وهذه اليمين الكاذبة الفاجرة هي اليمين الغموس، وقد سميت بهذا الاسم لأنها تغمس صاحبها في الإثم الكبير، ثم تغمسه في النار.

واليمين الغموس من أعظم الكبائر وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اليمين الغموس فأجاب بأنها هي اليمين الكاذبة التي يقتطع بها حالفها مال امرئ مسلم بغير حقّ. عن عبدالله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس» [٤] رواه البخاري. وفي رواية أخرى له أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: «الإشراك بالله» قال: ثم ماذا؟ قال: «اليمين الغموس» قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: «الذي يقتطع مال امرئٍ مسلم» يعني: يقتطع مال امرئ مسلم بيمين هو فيها كاذب.

مضار الكذب

الكذب أصل الرذائل، به يتصدع بنيان المجتمع، ويختل سير الأمور، ويسقط صاحبه من عيون الناس فلا يصدقونه في قول، و لا يثقون به في عمل. وأكثر الناس في الحياة أصحاب حرف وصاحب الحرفة محتاج في بيعه وشرائه وعمله إلى ثقة الناس به، والكذب يهدم هذه الثقة [١٢، ص ٢٣٢]، لهذا كتب الله على الكاذبين الضلالة فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [سورة غافر، آية ٢٨].

والكذب رذيلة لم تترك أمرا من الأمور إلا استطالت عليه فالمعاملات والنظام والسياسة وحركة العالم في كل شيء خالطها الكذب حتى كاد يفسدها، ويخرجها عن الغرض المقصود منها. وهذا القضاء في كل أمة وبلد يعاني الآلام الكثيرة في سبيل الوصول إلى الحقائق وإقامة العدل بين الناس.

والعالم والتاجر والزارع والصانع كل أولئك أضرّ بهم الكذب حتى ساء ت حالهم وإن أكثر معاملات الناس في البيع والشراء والإجارة أفسدها الكذب. وإن المنازعات التي تثير البغضاء والشحناء في النفوس وما تجلبه من المضار سببها الكذب وخلف الوعد في المعاملات. وقد أدى هذا إلى أن تهن صلات الناس وتذهب ثقة بعضهم ببعض وتقل

معاملاتهم حتى لا يجد أحد معونة ومساعدة في نائبة تنوب، فذو الحاجة يتعسر عليه أن يقترض من المال ما يدفع به حاجته الماسة والضرورة الحافزة، لأنه أضاع ثقة الناس فيه بكذبه [١١، ص ٤٥٩]. وقيل في منثور الحكم: الكذاب لص، لأن اللص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك. وقال بعض الحكماء: الخرس خير من الكذب، وصدق اللسان أول السعادة [١٣، ص ٢٥٣].

وتبدو لنا حاجة المجتمع الإنساني إلى خلق الصدق، حينما نلاحظ أن شطرا كبيرا من العلاقات الاجتماعية، والمعاملات الإنسانية تعتمد على شرف الكلمة، فإذا لم تكن الكلمة معبّرة تعبيرا صادقا عما في نفس قائلها، لم نجد وسيلة أخرى كافية نعرف فيها إدارة الناس ونعرف فيها حاجاتهم، ونعرف فيها حقيقة أخبارهم [٢، ص ٤٨٥].

ولولا الثقة بشرف الكلمة وصدقها لتفككت معظم الروابط الاجتماعية بين الناس ويكفي أن نتصور مجتمعا قائما على الكذب، لندرك مبلغ تفككه، وانعدام صور التعاون بين أفراده، فإذا لم يكن التاجر صادقا كسدت سوقه وبارت بضاعته، وإذا لم يكن الصانع صادقا لم يستخدمه صاحب رأس المال، وإذا لم يكن صاحب رأس المال صادقا لم يجد عمالا يعملون عنده، وإذا لم يكن المعلم صادقا لم يتتلمذ عليه تلميذ ولم ينقل عنه طالب، وإذا لم يكن الحاكم صادقا لم يثق به المحكومون ولم تنتظم له سلطة، وإذا لم تكن الرعية صادقة استحال على الحاكم أن يأخذ بشهادة، أو ينظر في ظلامة، أو ينصف مظلوما، أو يعاقب ظالما.

وخلاصة القول: إن الصدق إن ذهب من أمة ذهبت معه تلك الأمة، وتصدع بناؤها لذلك قرن الله الأمر بالصدق بالأمر بالتقوى قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة، آية ١١٩]. فقد تحيى الأمة وفيها جبناء رعاديد، ولقد تبقى الأمة وفيها بخلاء أشحاء، ولكن شمسها تنحدر إلى المغيب إذا كان فيها الكذابون المفترون. روى صفوان بن مسلم قال: قيل للنبي ﷺ: «أيكون المؤمن جبانا؟ قال: نعم. قيل: أفيكون بخيلا؟ قال نعم. قيل أفيكون كذابا؟ قال لا.»

الكذب في الديانات السماوية

لقد أتت جميع الديانات الراقية بقدر من التشريع الاجتماعي والأخلاقي، إلى جانب ما جاءت به من العقائد، وإن كانت تختلف في المقدار الذي منحته عنايتها من ناحية

التشريع الأخلاقي. ولكننا لا نجد دينا واحدا قد ترك الكذب من غير أن ينهى عنه ويبين مضاره.

١- الكذب في نظر اليهودية

لقد تضمنت التوراة كثيرا من الآيات الناهية عن الكذب، المنفرة منه. فقد جاء في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر الخروج: «لا تقبل خبرا كاذبا» فكان في ذلك نهي عن الكذب في جملته وتفصيله، ثم جاءت الآية التالية ناهية عن صور من أقبح صور الكذب هي شهادة الزور: «ولا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم.»

ثم عادت التوراة تنهى عن الكذب في عمومه، وعن الكذب المتسبب عن الرشوة في خصومه فقالت: «ابتعد عن كلام الكذب، ولاتقتل البريء والبار، لأني لا أبرر المذنب. ولا تأخذ الرشوة لأن الرشوة تعمى المبصرين، وتعوّج كلام الأبرار.» وفي الوصايا العشر - الإصحاح العشرين من سفر الخروج - «لا تشهد على قريبك شهادة زور.» وهذه الوصية وإن كانت في المقام الأول من التعاليم الموسوية فإنها تنهى عن هذه الرذيلة في حدود ضيقة - هي حدود القرابة - مع أن تخصيص القرابة بالذكر في هذه الآية كان لبيان فظاعة الجريمة في حالة ذوي القربى، إذ أن شهادة الزور إفك ممقوت في أية صورة من صورها. وجاء في المزمار الرابع والثلاثين: «صن لسانك عن الشر، وشفتيك عن التكلم بالغش» [٩، ص ٣٧].

٢- الكذب في نظر المسيحية

وتقتضي تعاليم المسيحية تحريم الكذب. ولا بد أن نلاحظ أن المسيحية تستمد كل ما في التوراة من التعاليم الأخلاقية، فكل ما نقلناه عن التوراة فيما سبق يعبر كذلك عن رأي المسيحيين في الكذب. على أن الإنجيل لم يترك هذه الرذيلة من غير تنديد بها. جاء في الإصحاح السابع من إنجيل متى: «احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة، من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنبا، أو من الحشك تينا؟ هكذا كل شجرة طيبة تخرج ثمارا طيبة، وأما الشجرة الخبيثة فتخرج ثمارا خبيثة... وكل شجرة لا تثمر ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار، فإذن من ثمارهم تعرفونهم» [٩، ص ٣٩].

٣- الكذب في نظر الإسلام

إن الإسلام عني عناية فائقة بشرح الكذب وأضراره، والحث على الصدق والتمسك به، فقد أنزل الله على نبيه الكريم ﷺ أكثر من مائتين وثمانين آية كلها تنهى عن الكذب وتضرب لنا الأمثلة على النهاية السيئة للمكذبين والكاذبين[١٤، ص ٥٥]. وقد قرن الله تعالى الصدق بالتقوى ومخافة الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ [سورة الأحزاب، آية ٧٠]. ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [سورة النحل، آية ١٠٥].

فالإسلام يرى أن الصدق أساس من أسس الدين الرئيسة لا يتحقق إلا به. وعند تدبر الحديث الشريف: «أربع إذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وحسن الخلق، وعفة طُعْمة.» ترى أن الصفتين الأوليين ترجعان إلى الصدق القولي والفعلي.

ولما كان الكذب عنصر إفساد كبير للمجتمعات الإنسانية، وسبب هدم لأبنيتها الحضارية وتقطيع لروابطها وصلاتها، ورذيلة من رذائل السلوك ذات الضرر البالغ، أمر الإسلام بالصدق، ونهى عن الكذب، وأعلن أن الصدق أحد الأسس الحضارية التي يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامي، ووضع قواعد تربية هذا المجتمع على الصدق، واتخذ كل الوسائل الكفيلة بغرس هذا الخلق العظيم في نفوس أفراده جميعا صغاره وكباره، رجاله ونسائه [٢، ص ٤٨٨].

أحكام الكذب في الإسلام

قد يباح الكذب وقد يجب أحيانا والضابط فيه كما يرى الغزالي أن الكلام وسيلة إلى مقصد من المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام، وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحا، وواجب إن كان القصد واجبا. غير أنه ينبغي للمرء أن يتحرز من ذلك الكذب جهد استطاعته، لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه خيف أن يستطرد إلى ما يُستغنى عنه، وإلى مالا يقتصر على حد الضرورة. فيكون الكذب حراما في الأصل إلا لضرورة [٩، ص ٥٣].

ويشير ابن قيم الجوزية إلى أنواع الكفر الأكبر فيذكر بأنها خمسة أنواع هي كما يلي [١٥، ص ٣٣٧]:

١ - *كفر التكذيب*: فهو اعتقاد كذب الرسل قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [سورة الأنعام، آية ٣٣].

٢ - *كفر الإباء والاستكبار*: ومن هذا كفر من عرف صدق رسول الله ﷺ وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له إباءً واستكبارا، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون، آية ٤٧]. وقول الأمم لرسلهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [سورة إبراهيم، آية ١٠]. وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [سورة الشمس، آية ١١].

٣- *كفر الإعراض*: كأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به. كما قال أحد الأشخاص للنبي ﷺ: «والله أقول لك كلمة، إن كنت صادقا فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أكلمك.» وهو كفر الملحدين اليوم من المتسمين بأسماء إسلامية، المقلدين للإفرنج من اليهود والنصارى المنحلين عن كل خلق وفضيلة، زاعمين بجاهليتهم وسفههم أن هذا هو سبيل الرقي والمدنية.

٤ - *كفر الشك*: فلأنه لا يجزم بصدقه ولا بكذبه، بل يشك في أمره وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة. فلا يسمعها ولا يلتفت إليها. وأما مع التفاته إليها ونظره فيها فإنه لا يبقى معه شك.

٥ - *كفر النفاق*: هو أن يظهر بلسانه إيمانا، وينطوي بقلبه على التكذيب فهذا النفاق الأكبر[١٤، ص ص ٦٤، ٦٥]

وإن الفقهاء قد نصوا على أن الكذب ينقسم إلى أقسام خمسة والأصل فيه التحريم:

القسم الأول: المحرم: وهو مالا نفع فيه شرعا. وقد تم مناقشة هذا بشيء من التفصيل أثناء الحديث عن صور الكذب.

القسم الثاني: المكروه: وهو ما كان لجبر خاطر الوالد أو خاطر الزوجة. ففي الحياة الزوجية حيث يحتاج الأمر أحيانا إلى أن تكذب الزوجة على زوجها، أو يكذب الزوج على زوجته ويخفي كل منهما عن الآخر ما من شأنه أن يوغر الصدور، أو يولد النفور أو

يثير الفتن والنزاع والشقاق بين الزوجين كما يجوز أن يزف كل منهما للآخر من معسول القول ما يزيد الحب، ويسر النفس، ويحمّل الحياة بينهما، وإن كان ما يقال كذبا، لأن هذا الرباط الخطير يستحق أن يهتم به غاية الاهتمام، وأن يبذل الجهد الكافي ليظل قويا جميلا مثمرا [١٦، ص ١٥٨].

القسم الثالث: المندوب: وهو ما كان لإرهاب أعداء الدين في الجهاد كأن يخبرهم بكثرة عدد المسلمين. لأن الحرب خدعة، ومقتضياتها تستدعي التمويه على الأعداء، وإيهامهم بأشياء قد لا تكون موجودة، واستعمال أساليب الحرب النفسية ما أمكن ولكن بصورة ذكية لبقة [١٦، ص ١٥٩].

ولكن لا يدخل في هذا الكذب عليه بتأمينه أو معاهدته ثم الغدر به، فهذا غير جائز قطعا. ومن أمثلة الكذب الجائز على العدو، ما لو وقع مسلم في أسره فسأله عن مواقع المسلمين الحربية، أو عن عدد المسلمين، أو عن أسلحتهم وعتادهم، فمن واجب المسلم والحالة هذه أن لا يعطي العدو فرصة معرفة ما يمكنه من النكاية بالمسلمين وكيدهم، بل يكتم عنه الحقيقة، ويعطيه أكاذيب تضلله وتمكن المسلمين منه، ولكن إن استطاع أن يتخلص من الموقف المحرج عن طريق التورية والمواربة في القول، دون اللجوء إلى الكذب الصريح كان خيرا له ومعلوم أن الحرب خدعة، وكما جاز القتال في الحرب - وهو في الأصل محرم - لأن الضرورة دعت إليه، جاز الكذب على العدو في حالة الحرب، وهو في أكثر أحواله أخف من القتال [٢، ص ٩٦].

القسم الرابع: الواجب: ما كان لتخليص مسلم أو ماله من هلاك. فلو أن مسلما اختفى من ظالم يريد قتله وأنت تعلم مكان هذا المسلم فإن الكذب على الظالم حينئذ بإنكار علمك بمكان المسلم واجب، ولو طالبك بحلف اليمين لكان واجبا عليك أن تحلف أنك لا تعلم مكانه، ما دمت تعلم أنه مطارد ظلما وبغير جناية يستحق عليه القتل أو السجن أو أخذ ماله، لأن دم المسلم وماله معصومان [١٦، ص ١٥٨].

القسم الخامس: المباح: ما كان للإصلاح بين الناس. ففي الصلح بين المخاصمين يستدعي أحيانا أن يحاول المصلح تبرير أعمال كل طرف وأقواله بما يحقق التقارب ويزيل أسباب الشقاق، وأحيانا ينسب إلى كل من الأقوال الحسنة في حق صاحبه ما لم يقله وينفي عنه بعض ما قاله مما يعوق الصلح ويزيد شقة الخلاف والخصام.

عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: «لم أسمع النبي ﷺ يرخص في شيء من الكذب مما تقول الناس، إلا في الحرب والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها» رواه مسلم وأحمد وأبو داود. وعن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ «يا أيها الناس، ما يحملكم أن تتابعوا على الكذب كتتابع الفراش في النار، الكذب كله على ابن آدم حرام، إلا في ثلاث خصال: رجل كذب على امرأته ليرضيها، ورجل كذب في الحرب فإن الحرب خدعة، ورجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما» رواه الترمذي.

الكذب في رأي علماء النفس

أولا: الطفل ميال بفطرته إلى الصدق

يرى علماء النفس أن الأصل في الإنسان أن يبحث عن الحقيقة لذاتها، وأن الطفل يميل بفطرته إلى تقرير الحقيقة، ولا يعدل عن ذلك إلا لعوامل أخرى تؤثر فيه، لأن قول الحق محاكاة وتقليد، والطفل بفطرته محاك مقلد [٩، ص ٧٣]. والكذب لا يكون أصيلا في طبع الطفل بحسب فطرته وإنما يكتسبه بعد ذلك في حياته اكتسابا، بعوامل شتى منها البيئة، ومنها مؤثرات الأهواء والشهوات، ومنها الاعتياد بتكرر الخبرات، ثم تتحول العادة فتكون خلقا مكتسبا [٢، ص ٤٨٤]. عن أبى أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب» رواه الإمام أحمد. فهذا الحديث يدل على أن الأمانة في القول أو في غيره خصلة مكتسبة وليست فطرية، وهي صفة تتكون في المرء عن طريق التقليد والتمرين وغير ذلك من طرق التعلم المختلفة. ويجب أن نتذكر أيضا أن الكذب ما هو إلا عرض ظاهري، والأعراض لا تهمنا كثيرا في ذاتها، وإنما الذي يهمنا هو العوامل والدوافع النفسية والقوى التي تؤدي إلى ظهور هذا العرض [١٧، ص ٣٤٠].

ثانيا: أنواع الكذب

ليس الكذب في مظاهره العادية إلا عرضا ظاهريا، ويزول بزوال الأسباب المؤدية إليه، وهو يتخذ أشكالا مختلفة تخدم أغراضا مختلفة. ومن مظاهر الكذب وأنواعه:

١- الكذب الخيالي

ويظهر هذا النوع من الكذب عند الأطفال نتيجة لقفزات خيالية في تصوراتهم وهو بالنسبة للطفل نوع من أنواع التسلية، ويكثر في المرحلة بين ٤-٥ سنوات ويرجع إلى سعة خيال الطفل وبعده عن الواقع [١٨، ص ١٧٩]. كما يحدث للشعراء والقصاصين تماما. ومن ثم يظهر لنا أننا نظلم الأطفال الذين يغلب عليهم هذا النوع عندما نصفهم بالكذب [١٩، ص ٢٠٧]. وإذن فواجبنا أن نكشف في الأطفال لهذه القوة الخيالية وتوجيهها التوجه الحسن والاستفادة منها خاصة عندما يكون خيال الطفل من النوع القوي المبدع [٢٠، ص ١٥١].

كما أن مثل هذا النوع من الكذب ينتهي وحده مع الزمن، لذا فلا داعي للقلق من الآباء. ومن الأفضل والمفيد للطفل إذا ما شطح به الخيال في صورة أو قصة أو حادثة وهمية أن نسأله بطريقة هادئة لطيفة من حين لآخر إذا كان متأكدا من صحة ما يقول إذا نحن جعلناه يحس من نبرات صوتنا بأننا نحب هذا النوع من اللعب ونشاركه فيه مشاركة فعلية فنبادله قصة بقصة وخيالا بخيال ونشعره بأن هذه القصص مسلية ولكنها مخالفة للواقع [١٧، ص ٣٤١].

٢- الكذب الالتباسي

يقرب هذا النوع من الكذب إلى حد كبير من الكذب الخيالي، إذ يلتبس فيه على الطفل الخيال بالحقيقة، وسببه أن الطفل لا يملك التمييز عادة بين ما يراه حقيقة واقعة وما يدركه واضحا في مخيلته، فكثير ما يسمع الطفل قصة خرافية أو واقعية سرعان ما يتحدث عنها وكأنها وقعت له بالفعل [٢١، ص ١٤٦]. وكثير ما لا يتمكن الطفل من التمييز بين ما يراه في أحلامه وبين الحقيقة ويخلط بينهما، فيحكي ما يراه في الحلم على أنه رآه فعلا في الواقع. فقد قامت طفلة في الرابعة من عمرها مذعورة من نومها تبكي وتقول إن بائع الثلج المقيم في آخر الشارع ذبح خادمتها في منتصف الطريق ووصفت بشيء من التطويل كل ما رأته في الحلم وقصت كل ما ذكرته على أنه حقيقة [٢٠، ص ١٥٢]. وهذا النوع من الكذب يزول من تلقاء نفسه عندما يصل عقل الطفل إلى مستوى من النضج يمكنه من أن يدرك الفرق بين الحقيقة والخيال. ولكن لا يعني ذلك أن نتركه حتى يزول من نفسه، فشيء من الإرشاد مع مستوى عقل الطفل يفيد فائدة كبيرة من الناحيتين الانفعالية والإدراكية [١٧، ص ٣٤٢].

ويوصف النوعان السابقان من الكذب بالكذب البريء، ويزولان بعد أن يكبر الطفل ويصل إلى مستوى من النمو العقلي الذي يمكنه من التمييز بين الحقيقة والخيال [١٨، ص ١٨٠].

٣- الكذب الادّعائي أو التعويضي

في هذا النوع من الكذب يلجأ الطفل إلى المبالغة في وصف خصائص أو تجارب ليست موجودة أو متوافرة لديه ليحظى بتقدير الآخرين وإعجابهم. فيصف مثلا مبلغ غناه أو مبلغ قوته وكم تغلب على أطفال آخرين أو كم لديه من الملابس الفاخرة أو ماله من عدد كبير من الأصدقاء أو مدى صداقة والده بمصادر السلطة. وكل هذه الأمور تخالف الواقع في حقيقة الأمر لكنه يهدف من ذلك إلى تعظيم الذات وجعلها مركز الانتباه والإعجاب كتعويض عن شعور الطفل بالنقص. وتعظيم الذات عن طريق الكذب إنما هو طريقة لتغطية هذا الشعور بالنقص [٢٠، ص ١٥٢]. ويرجع هذا النوع من الكذب في بعض الأحيان إلى وجود الطفل في بيئة أعلى من مستواه في ناحية معينة، ورغبته في الوصول إلى هذا المستوى، فإذا لم يتمكن في الواقع من تحقيق ذلك بطرق واقعية حققها بطرق يخترعها من مخيلته [١٧، ص ٣٤٣]. أي أن الطفل قد يلجأ إلى هذا النوع من الكذب التعويضي عند عجزه عن الانسجام مع من حوله. وعندما تضيق به بيئته المنزلية بالنسبة لبيئة المدرسة، وعندما يخضع لكثرة من الإذلال والقمع اللذين يقعان عليه ممن حوله من الذين لا يريدون له الظهور. ولعلاج هذا الأمر يجب أن نكشف عن نواحي القوة في الطفل والتي تكون بمثابة تعويض سليم لجوانب القصور الأخرى لو تعهدناها بالرعاية حتى يتفوق فيها فترتد له ثقته بنفسه ويزول إحساسه بالنقص ومن أنواع الكذب الادعائي أن يدعي الطفل المرض أو أنه مضطهد ومظلوم أو سيئ الحظ، كل ذلك ليحصل على قسط أكبر من العطف والرعاية. ويحدث هذا عادة من الطفل الذي لم يحصل على العطف الكافي من والديه إلا إذا كان في حالة مرض. وهذا النوع من الكذب يجب أن يعالج من الصغر حتى لا يلازم صاحبه في الكبر ويغدو من فئة الفشارين الذين يكثر حديثهم عن أشياء وأعمال وصفات جليلة يكون الآخرون على ثقة من عدم وجودها.

٤- الكذب الغرضي أو الأناني

وقد يكذب الطفل لتحقيق غرض شخصي. ومن أمثلة ذلك أن يطلب الطفل شيئا ما

من والدته مدعيا أنه لأخيه الذي يصغره بينما في حقيقة الأمر يطلبه لنفسه. فقد جلس أفراد الأسرة على مائدة طعام الغداء وأمام كل منهم أطباق تحتوي على كمية الطعام اللازمة له، إلا أن هناك كمية إضافية لم توزع بعد. وقد أسرع أحد أطفال الأسرة بالتهام طعامه حتى أتى على كل ما في أطباقه وهنا اتجه إلى والدته قائلا أمي: إن كمية الطعام هذه لن تكفي أخي الصغير فقالت ولكنه لم يأت على أطباقه وقد بدأ يشبع، فقال لها أليس من الأفضل أن تضعي له بعض الطعام في طبقي هذا ليتناوله إذا انتهى من طبقه ولم يشبع؟ فرفضت الأم. ولعل الدوافع إلى الكذب الغرضي أو الأناني هو عدم توافر ثقة الطفل بالكبار المحيطين نتيجة عدم ثقته في والديه لأسباب منها كثرة عقابهما له ولوقوفهما في سبيل تحقيق رغباته وحاجاته [١٧، ص ٣٤٤].

٥- الكذب الانتقامي

كثيرا ما يكذب الأطفال انتقاما من غيرهم بأن يوجهوا إليهم اتهامات يترتب عليها عقابهم أو سوء سمعتهم أو غير ذلك خاصة عندما يشعرون نحوهم بالغيرة أو عندما لا يشعر الطفل بالمساواة في المعاملة بينه وبين الطفل الآخر. وقد تدل هذه الحالات وتلك الحوادث على عملية لا شعورية مما نسميه بالإسقاط. ويكثر هذا النوع من الكذب في بعض المجتمعات بين الفتيات في مرحلة المراهقة فتكذب الواحدة منهن متهمة فتى بمحاولة التقرب منها والتحبب إليها - ويترتب على ذلك سرورها لأن لديها حسب ما تتصوره من الجاذبية الجنسية ما يحرك الشبان نحوها - وقد تكذب الواحدة منهن لأنها ترغب في الانتقام من الفتى لعدم قيامه إزاءها بما كانت تتمناه منه. وقد يحدث ذلك من البنين. ويجب أن يكون الآباء والمعلمون في غاية الحرص إزاء هذا النوع من الاتهامات، إذ أنها تكون في كثير من الأحيان على غير أساس كاف من الحقيقة [١٧، ص ٣٤٥].

٦- الكذب الدفاعي أو الوقائي

يكذب الطفل خوفا من العقاب وقد يرجع سبب الكذب إلى المبالغة في عقاب الطفل على أخطاء بسيطة. أو قد يكذب ليحتفظ لنفسه بامتياز خاص يخاف أن يفقده إذا قال الصدق. والكذب الدفاعي من أكثر الأنواع شيوعا، فالطفل الذي يرغب في لعب الكرة مع زملائه في الشارع ويخاف من عدم موافقة والده فيكذب قائلا إنه ذاهب ليحضر كتابا من صديقه فلان أو ليذاكر مع زميله فلان. والطفل الذي لا يرغب الذهاب إلى المدرسة

فيخرج من المنزل مدعيا أنه في طريقه إلى مدرسته ثم يعود بعد وقت قليل ويقول لوالدته لم أتمكن من ركوب المواصلات أو تعطلت السيارة في الطريق أو لم تحضر سيارة المدرسة [٢٠، ص ١٥٤]. ومن أنواع الكذب الوقائي كذلك كذب الإخلاص فيكذب الطفل على الآخرين حماية لصديق أو زميل من عقوبة قد تقع عليه. وتلاحظ هذه الظاهرة بين المراهقين أكثر من الأطفال، فهو من مظاهر الولاء للجماعة. وهذا الولاء يقوى في دور المراهقة ويكون عند البنين أكثر من البنات.

٧- كذب التقليد

قد يكذب الطفل تقليدا لوالديه، ولمن حوله. فليس من الممكن أن يكون الطفل صادقا في منزل لم يعد الوالدان فيه يحبان بعضهما البعض. ومهما تظاهر الوالدان بأنهما على علاقة طيبة ببعضهما فلن ينخدع الطفل، سيغرق في أوهام غير حقيقية من صنعه هو. والإنسان خير بطبعه ولكن البيئة تشكله بالصورة التي هي عليها. وكثيرا ما يصيب أفراد المجتمع الأكاذيب في عقل الطفل وكثيرا ما يجد الأب صعوبة في أن يقول الصدق دائما، فهو يذكر مثلا للطفل أن الاستمناء يؤدي إلى الجنون وفي هذا القول يتجاهل الأب ما يمكن أن تؤدي إليه مثل هذه العبارة الكاذبة من تدمير للطفل. والأم تطلب من الطفل أن يصحبها للنزهة ثم يكتشف أنه أُخذ لعيادة الطبيب [٢٠، ص ١٥٠].

٨- الكذب العنادي

أحيانا يكذب الطفل لمجرد السرور الناشئ من تحدي السلطة، خصوصا إن كانت شديدة الرقابة والضغط قليلة الحنو. مثال ذلك الأم التي كانت تمنع طفلها أن يشرب أية سوائل قبل النوم بفترة. وكان يطلب منها أن يغسل وجهه قبل النوم وأثناءه يشرب ما يكفيه من سوائل وأمه واقفة من جانبه دون أن تتمكن من ملاحظة ذلك وكأن الولد يشعر بلذة كبيرة من استغلال غفلة أمه رغم تشددها في الرقابة عليه [١٧، ص ٣٤٨].

٩- الكذب المرضي أو المزمن

وهذا النوع يعود إلى دوافع كريهة معادية للآخرين كبتها الطفل في اللاشعور عنده. مثل الطفل الذي يكذب على مدرسيه لا لشيء إلا لأنه مصاب بعقدة كراهية سلطة والديه مما يجعله يعمم لا شعوريا كراهيته للسلطة المدرسية من خلال الكذب. وهذا نلاحظه في حالة الكذب الادعائي، لأن الشعور بالنقص يكون مكبوتا، ويصبح الدافع للكذب

دافعا لا شعوريا، خارجا عن إرادة الشخص وحالات الكذب المزمن معروفة في كل زمان ومكان [١٧، ص ٣٤٨].

ثالثا: أسباب الكذب

الكذب في مظاهره العادية ليس إلا عرضا ظاهريا يزول بزوال أسبابه المؤدية إليه، فالكثير من الأطفال يذكر وقائع وأمورا غير حقيقية ويكون ذلك من أحد الأسباب التالية:

١- وجود الطفل في بيئة يلجأ فيها الكبار إلى استخدام أسلوب الكذب في تعاملهم اليومي، يجعله مضطرا إلى الكذب أحيانا [١٨، ص ١٨٠]. فمثلا عندما تعرض بعض الأعمال في المعارض على أنها من أعمال التلاميذ، وتبرير ذلك بأن جزءا منها من أعمال التلاميذ، ويكون الواقع أن ما قام به التلاميذ من التفاهة بحيث لا يبرر عرضه على أنه من عملهم، والتلاميذ يشعرون عادة في قرارة أنفسهم بهذا، ويتعودون الكذب والتساهل فيه في صميم نشاطهم المدرسي، وذلك عن طريق المثال والممارسة الذاتية.

٢- سعة خيال الطفل وعدم قدرته على التمييز بين الحقيقة والخيال قبل سن الخامسة (الكذب الخيالي أو الالتباسي). إن الخيال يخلق صورا لا توافق الحقيقة، ولهذه الصور من قوة الإيحاء إلى الطفل ما للحقيقة نفسها. على أن الصور الكاذبة التي يتخيلها الأطفال قد ترجع في بعض الأحوال إلى ما قرأوه في القصص والتاريخ، أو إلى ما سمعوه من أمهاتهم ومربياتهم، كما قد ترجع إلى أحلام حلموا بها ولكن عقولهم لا تقوى على التفريق بين صور الحقيقة وصور الخيال المستمد من القصص، كما لاتقوى على التمييز بين حوادث الأحلام وحوادث اليقظة [٩، ص ٧٨].

٣- قسوة السلطة الأسرية في معاقبة الأبناء مما يدفع الطفل إلى الكذب تجنبا للعقاب الشديد (كذب دفاعي).

٤- التفرقة في المعاملة بين الأبناء، مما يثير الغيرة والكراهية بينهم ويدفع الطفل الغيور إلى إلصاق التهم كذبا بالطفل المخطئ انتقاما منه (كذب انتقامي).

٥- الشعور بالنقص (الجسمي أو العقلي أو الاجتماعي)، مما يدفع الطفل إلى الكذب لتعويض هذا النقص (كذب ادعائي). إن عدم تناسب العمل الذي يكلف به الطفل مع مقدرته يجعله يضطر إلى استعمال حيل للتخلص من الظهور بمظهر العجز، وكذلك

عدم تناسب البيئة مع مستوى الطفل كوجود طفل فقير في وسط غني أو طفل غبي في وسط أذكياء [١٧، ص ٣٥٢].

٦- إصابة الطفل بعقد نفسية تدفعه لا شعوريا إلى الكذب (كذب العقد النفسية أو المرضي). فلقد أشار علماء الصحة النفسية إلى أن التبرير أحد بواعث الكذب، وهو يشكل إحدى حيل الدفاع التي يلجأ إليها المريض للتخفيف من مكبوتاته وعقده الداخلية. وهذا يعني أن أحد أشكال الكذب يعد فعالية لا شعورية لا يعيها المريض، أو قد يعيها - في الغالب - إلا أنه يضطر إليها لكي يهب لشخصيته شيئا من التقدير ويجنبها أي شكل من أشكال الأذى المعنوي [١٠، ص ١٣٢].

٧- عدم شعور الطفل بالأمن في الأسرة نتيجة تهديده بفقد السند العاطفي أو المادي الممثل في والديه بسبب سوء العلاقة المستمرة بينهما، مما يدفع الطفل إلى الكذب للحصول على الأشياء التي ترمز إلى الأمن بالنسبة له كالنقود واللعب [١٨، ص ١٨١].

وقد قام العالم فرياني Ferriani بدراسة عدد من الأطفال المجرمين، ليقف على أسباب اعتيادهم الكذب، فوصل إلى تسعة أسباب ذكرها في الإحصاء الآتي: ٤٧٢ كذبوا بباعث الغرائز والضعف، و٤٠١ كذبوا بباعث الدفاع عن النفس، و٣٦٠ كذبوا بباعث الغرور والرغبة في أن ينالوا من غيرهم، و٢٣١ كذبوا بباعث المحاكاة، و٣٨٧ كذبوا بباعث الأثرة، و١٩٥ كذبوا بباعث الغيرة والحسد وحب الانتقام، و٤٨٨ كذبوا بباعث الخيال، و٣٧٠ كذبوا بباعث الكسل، و٢٩ كذبوا بباعث عزة النفس.

ويتضح من هذا الإحصاء أن كذب الخيال أعلاها نسبة، وأن أكاذيب الضعف والغرائز والدفاع عن النفس تليه مباشرة، على حين أن الكذب الناشئ عن عزة النفس أقلها جميعا. وتعليل ذلك أن عقل الطفل النشيط يتخيل دائما، ويرى الأشياء كما ينبغي أن تكون في رأيه، كما أن الضعف والخوف يغريان كثيرا بالاستتار والتمويه لتجنب التعنيف والعقوبات. أما الطفل الذي يتحرك فيه الشعور بعزة النفس فيندر أن يسلك لتحقيقه سبيل الكذب [٩، ص ١١٧].

رابعا: علاج الكذب

لا يعدُّ الكذب عرضا مرضيا إلا إذا تكرر وأصبح عادة للطفل، وهناك أمور عامة

يمكن أن يسترشد بها الآباء والمعلمون في علاج الكذب وهي :

١- لابد أن نتأكد مما إذا كان كذب الطفل نادرا أو متكررا، وإن كان متكررا فما نوعه وما الدوافع إليه؟ والمعالجة هي الإحجام عن علاج الكذب بالضرب، أو الانتهار أو السخرية أو التشهير أو غير ذلك، وليكن شعارنا دائما استعمال اللين في غير ضعف، والحزم في غير عنف. ومعالجة الدوافع الأساسية التي دفعت إليه. ويغلب أن يكون العامل المهم في تكوينها هو بيئة الطفل، كالوالدين أو المدرسين أو أصحاب السلطة على وجه العموم [١٦، ص ١١٧].

٢- يجب أن نجنب الطفل الظروف التي تشجع على الكذب، فمثلاً إذا كان لدينا طالب نعهد فيه هذه الخصلة، فلا نجعله المصدر الوحيد للشهادة في حادثة ما لأن هذا يعطيه فرصة لترسيخ عادة الكذب، وتثبيتها بالتكرار والتمرن. وزيادة على ذلك فلا يصح أن يعطي الكاذب فرصة الإفلات بكذبه دون أن نكشفه لأن النجاح في الإفلات بالكذب له لذة خاصة تشجع على تثبيته واقترافه مرة أخرى، بل تشجع أيضا على الاسترسال في سلسلة من الأكاذيب المقصودة التي تصدر عن نفس هادئة مطمئنة.

٣- علينا أن نعمل على تهيئة الجو الذي يشبع فيه الطفل حاجاته الضرورية مثل حاجاته إلى الأمن والاطمئنان وحاجاته إلى الثقة فيمن حوله [١٩، ص ٢٠٨].

٤- علينا أن نعمل لتوفير أوجه النشاط والهوايات للأطفال مما يعطيهم فرصة التعبير عن ميولهم ومواهبهم الحقيقية. فمثلا نكثر لهم من الأسفار والرحلات ونواحي الميول الأخرى.

٥- علينا أن نشجع خيال الأطفال عن طريق قراءة القصة وغيرها من ألوان الأدب الخيالي خصوصا في طور المراهقة. ووفقا لرأي بيرت Burt فإنه لا ينصح في حالة الخياليين قبل سن المراهقة بقراءة القصص الخيالية الخرافية، وإنما بالاستزادة من الإنشاء الشفهي المبني على المشاهدات الدقيقة والتفكير المنظم [١٧، ص ٣٥٢].

٦- وإذا علمنا أن قول الصدق يتطلب مقدرتين هما صحة الإدراك، ودقة التعبير، فيجب علينا أن نشجع الطفل ليتوخى خبراته من المشاهدات والقياس وعلم التجارب وتدوين النتائج، مما يؤدي إلى الدقة في الملاحظة والدقة في التعبير أيضا.

٧- على الآباء والكبار المحيطين بالطفل أن يتصفوا بالصدق بأنواعه فلا غش، ولا

كذب، و تجسس، ولا اختلاق أعذار، وكذلك يجب احترام الصدق وتقديره، وألاّ يعطوا وعدا لأطفالهم إلا إذا كانوا قادرين على تنفيذه والوفاء به.

تحديد مشكلة الدراسة

إن الكذب آفه، إذا أصيب بها المرء فإنها تؤدي إلى هلاكه في الدنيا والآخرة. وقد نقل عن رسولنا الكريم ﷺ: «إياكم والكذب فإنه مع الفجور، وهما في النار»، «لا يؤمن بالله ولا باليوم الأخر، من حدّث فكذب»، «إن العبد ليكذب بالكذبة، فيتباعد عنه الملك ميلا أو ميلين مما جاء به.» لذا أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب، وكل الخلال يطبع عليها المؤمن، إلاّ الخيانة والكذب. فقد قال نبي الله موسى عليه السلام: «رب أي عبادك خير عملا؟ قال: من لا يكذب بلسانه، ولا يفجر قلبه، ولا يزني فرجه.» وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبته: «ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك.» فالكذب يسقي باب كل شر كما يسقي الماء أصول الشجر، فالكذب يشين صاحبه. فقد قال لقمان عليه السلام لابنه: «إياك والكذب، فإنه شهي كلحم العصفور... يا بني من ساء خلقه عذب نفسه، ومن كذب ذهب جماله» [٢٢، ص ص ٢٤٢، ٢٦٤].

والكذب كآفة لا تعيب الفرد فحسب بل تعيب المجتمع كله، تنخر في عظامه فينهار انهيارا أخلاقيا كاملا. ويلجأ المرء إلى الكذب اعتقادا منه أن هذا الأسلوب يؤدي إلى المحافظة على حياته تارة وعلى بقائه الاجتماعي تارة آخرى، وفي تحقيق مصلحة مادية أو أدبية وعدم الرغبة في المصارحة، والميل إلى المبالغة لاستثارة الغير، أو لإضفاء صفات أو خصائص معينة على الوقائع، والتجمل بصفات غير حقيقية للشيء الموصوف.

لذا نرى أن شخصية الكذوب شخصية عليلة تفتقر إلى الأمان النفسي، والطمأنينة الانفعالية، وهي أقرب ما تكون إلى المرض النفسي. فالمتأمل في هذه الشخصية يجد أنها تعاني صراعات نفسية، كما أنها تجيد من استخدام الحيل الدفاعية كالتبرير والإسقاط والتكوين العكسي والإزاحة، وما شابه ذلك من حيل من أجل الهروب من المواجهة والمصارحة والمكاشفة.

وقد تبين بعد إجراء مسح للبحوث النفسية عدم وجود بحوث في المجال تناولت

الكشف عن الخصائص النفسية للكذوب، فقد تبلورت مشكلة الدراسة الراهنة في الكشف عن الفروق في الخصائص النفسية للكذوب في ضوء متغيرات الجنس ومستوى تعليم الوالدين.

ويمكن تحديد مشكلة الدراسة في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١- ما أثر متغير الجنس في الخصائص النفسية للكذوب؟

٢- ما أثر متغير مستوى تعليم الأب في الخصائص النفسية للكذوب؟

٣- ما أثر متغير مستوى تعليم الأم في الخصائص النفسية للكذوب؟

٤- ما أثر تفاعل متغيرات الجنس ومستوى تعليم الوالدين في الخصائص النفسية للكذوب؟

هدف الدراسة

هدفت الدراسة إلى الكشف عن الفروق في الخصائص النفسية للكذوب في ضوء متغيرات الجنس ومستوى تعليم الوالدين.

حدود الدراسة

تتحدد الدراسة بالعينة المكونة من مجموعتين، إحداهما مؤلفة من مائة طالب وطالبة لحساب الخصائص السيكومترية لمقياس الخصائص النفسية للكذوب. والثانية: تتكون من ١٨٤ طالبا وطالبة من طلاب كلية التربية - جامعة الملك فيصل لاختبار صحة فروض الدراسة. كما تتحدد بالمقياس الذي يقيس الخصائص النفسية للكذوب.

فروض الدراسة

يمكن صياغة فروض الدراسة كما يلي:

١- لا يوجد أثر دال إحصائيا لمتغير الجنس في الخصائص النفسية للكذوب.

٢- لا يوجد أثر دال إحصائيا لمتغير مستوى تعليم الأب في الخصائص النفسية للكذوب.

٣- لا يوجد أثر دال إحصائيا لمتغير مستوى تعليم الأم في الخصائص النفسية للكذوب.

٤- لا يوجد أثر دال إحصائيا لتفاعل متغيري الجنس ومستوى تعليم الأب في الخصائص النفسية للكذوب.

٥- لا يوجد أثر دال إحصائيا لتفاعل متغيري الجنس ومستوى تعليم الأم في الخصائص النفسية للكذوب .

٦- لا يوجد أثر دال إحصائيا لتفاعل متغيري مستوى تعليم الأب ومستوى تعليم الأم في الخصائص النفسية للكذوب .

٧- لا يوجد أثر دال إحصائيا لتفاعل متغيرات الجنس ومستوى تعليم الأب ومستوى تعليم الأم في الخصائص النفسية للكذوب .

منهج الدراسة وإجراءاتها

تستند هذه الدراسة إلى المنهج الوصفي .

أداة القياس

مقياس الخصائص النفسية للكذوب (انظر الملحق) . تم بناء بنود مقياس الخصائص النفسية للكذوب وفقا لما جاء في الإطار النظري لمفهوم الكذب، ومن خلال دراسة استطلاعية على عينة مكونة من ستين طالبا وطالبة من طلاب كلية التربية - جامعة الملك فيصل للتعرف على الخصائص النفسية للكذوب . وقد تمت صياغة بنود المقياس، وعرضت على لجنة مكونة من ثلاثة أساتذة من الحاصلين على درجة الدكتوراه في الصحة النفسية وعلم النفس للحكم على صدق بنود المقياس . وانتهى المقياس في صورته النهائية إلى ثلاثين بندا من أصل خمسة وأربعين بندا . وتتم الاستجابة على كل بند من خلال مقياس تقدير مكون من خمسة أوزان تبدأ بالموافقة بشدة (تعطى خمس درجات) وتنتهي بغير الموافقة بشدة (تعطى درجة واحدة فقط) . وتدل الدرجة الكبرى على ميل المستجيب للكذب، بينما تدل الدرجة الصغرى على عدم ميل المستجيب للكذب .

الصدق

تم حساب الصدق العاملي لمقياس الخصائص النفسية للكذوب وذلك من خلال استخدام طريقة المكونات الأساسية من إعداد هوتلنج . وقد أسفر التحليل العاملي باستخدام التدوير المائل لبنود المقياس عن وجود أربعة عوامل من الدرجة الأولى (الجذر الكامن أكبر من الواحد الصحيح) . وتضمنت نسبة التباين ٤٦ , ٣٩٪من حجم التباين

الكلي. ويوضح جدول رقم ١ العوامل المستخرجة لبنود مقياس الخصائص النفسية للكذوب بعد التدوير المائل.

وقد تشبع العامل الأول (الجذر الكامن = ٦,٣٨، نسبة التباين = ٢١,٢٧٪، عدد البنود = ٢١ بندا، بنود المقياس التي أرقامها: ٥، ٨، ٩، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠).

كما تشبع على العامل الثاني (الجذر الكامن = ٢,٣٥، نسبة التباين = ٧,٨٣٪، عدد البنود = ٥ بنود) بنود المقياس التي أرقامها: ١، ٢، ٧، ١٠، ١٢. وتشبع على العامل الثالث (الجذر الكامن = ١,٦٣، نسبة التباين = ٥,٤٣٪، عدد البنود = ٢) بند المقياس اللذان رقماهما ٣، ٤. وأخيرا تشبع على العامل الرابع (الجذر الكامن = ١,٤٨، نسبة التباين = ٤,٩٢) البند رقم ٢٨. بينما لم يصل تشبع البند السادس من بنود المقياس إلى مستوى الدلالة الإحصائية.

وعليه، تم الاكتفاء بالعامل الأول فقط نظرا لكبر جذره الكامن (٦,٣٨)، ونسبة تباينه (٢١,٢٧٪)، وعدد بنوده (٢١بندا). وقد سمي هذا العامل بعد فحص بنوده: الأنانية وحب الذات.

ومن ثم انتهى عدد بنود مقياس الخصائص النفسية للكذوب بعد التحليل العاملي إلى ٢١ بندا.

الثبات

ثم حساب ثبات مقياس الخصائص النفسية للكذوب المكون من ٢١ بندا باستخدام معادلة ألفا لكرونباخ، فبلغ معامل الثبات ٠,٧٨، وهو معامل دال إحصائيا.

جدول رقم ١. العوامل المستخرجة لبنود مقياس الخصائص النفسية للكذوب بعد التدوير المائل.

البنود	العوامل				نسب النوع
	الأول	الثاني	الثالث	الرابع	
١		٠,٣٣			٠,٢٠
٢		٠,٤٨			٠,٥٠
٣			٠,٣١		٠,١٦
٤			٠,٤٥		٠,٤١

تابع جدول رقم ١.

البنود	العوامل				نسب النوع
	الأول	الثاني	الثالث	الرابع	
٥	٠,٤٠				٠,٤٠
٦					٠,١٦
٧		٠,٤٤			٠,٣٤
٨	٠,٦٣				٠,٥٣
٩	٠,٤٩				٠,٣٣
١٠		٠,٣٥			٠,٢٩
١١	٠,٥٠				٠,٤٤
١٢	٠,٤١				٠,٢٢
١٣		٠,٤٠			٠,٣٠
١٤	٠,٦٣				٠,٤٥
١٥	٠,٥٩				٠,٦٨
١٦	٠,٥٤				٠,٤٩
١٧	٠,٥٣				٠,٤٢
١٨	٠,٥٢				٠,٤١
١٩	٠,٤٦				٠,٣٦
٢٠	٠,٥٩				٠,٤٢
٢١	٠,٥٢				٠,٣٥
٢٢	٠,٥٤				٠,٣٨
٢٣	٠,٦١				٠,٤٦
٢٤	٠,٦١				٠,٥٧
٢٥	٠,٤٥				٠,٤٩
٢٦	٠,٤٠				٠,٢٨
٢٧	٠,٤٧				٠,٤٤
٢٨				٠,٤٤	٠,٥٣
٢٩	٠,٤٧				٠,٥٢
٣٠	٠,٥١				٠,٥٤
الجذر الكامن	٦,٣٨	٢,٣٥	١,٦٣	١,٤٨	
نسبة التباين	٪٢١,٢٧	٪٧,٨٣	٪٥,٤٣	٪٤,٩٣	٪٣٩,٤٦

عينة الدراسة

تكونت عينة الدراسة من ١٨٤ طالبا وطالبة من طلاب كلية التربية - جامعة الملك فيصل. وقد تم اختيار أفراد العينة اختيارا عشوائيا، وبلغت نسبة أفراد العينة ٥٣ , ١٨٪ من المجتمع الأصل. وفيما يلي خصائص العينة وفقا للمتغيرات الآتية:

- الجنس: تكونت العينة من ٩٨ طالبا بنسبة ٢٦ , ٥٣٪ و ٦٨ طالبة بنسبة ٧٤ , ٤٦٪.

- مستوى تعليم الأب: تكونت العينة من ٦٤ طالبا وطالبة مستوى تعليم آبائهم منخفض بنسبة ٦٧ , ٣٤٪، و٧٣ طالبا وطالبة مستوى تعليم آبائهم متوسط بنسبة ٦٧ , ٣٩٪، و ٤٧ طالبا وطالبة مستوى تعليم آبائهم مرتفع بنسبة ٥٤ , ٢٥٪.

- مستوى تعليم الأم: تكونت العينة من ٨٠ طالبا وطالبة مستوى تعليم أمهاتهم منخفض بنسبة ٤٨ , ٤٣٪، و ٦٢ طالبا وطالبة مستوى تعليم أمهاتهم متوسط بنسبة ٧٠ , ٣٣٪، و ٤٢ طالبا وطالبة مستوى تعليم أمهاتهم مرتفع بنسبة ٨٢ , ٢٢٪.

إجراءات الدراسة

تم إجراء الدراسة وفقا للخطوات الآتية:

- تم تصميم مقياس الخصائص النفسية للكذوب وحساب خصائصه السيكومترية من صدق وثبات.

- تم تطبيق مقياس الخصائص النفسية للكذوب على عينة قوامها ١٨٤ طالبا وطالبة من كلية التربية - جامعة الملك فيصل لاختبار صحة فروض الدراسة.

- تم استخدام الأساليب الإحصائية التالية: طريقة المكونات الأساسية من إعداد هوتلنج لحساب صدق مقياس الخصائص النفسية للكذوب، ومعادلة ألفا لكرونباخ لحساب ثبات المقياس، وتحليل التباين (٢ X ٣X٣) باستخدام نموذج GLM لاختبار صحة فروض الدراسة واختبار توكي Tukey لحساب الفروق بين المجموعات.

عرض النتائج

وتوضح النتائج المبينة في جدول رقم ٢ وجود أثر دال إحصائيا لمتغير الجنس في الخصائص النفسية للكذوب، حيث بلغت قيمة ف (٤٠ , ٢) [د . ح = ١ ، ١٦٨ ، دالة إحصائيا عن مستوى ٠٥ , ٠]. ولاختبار الفروق بين المجموعتين، تم استخدام اختبار توكي، فأبانت النتائج أن الطالبات أكثر كذبا (م = ١ , ٨٩) من الطلاب (م = ٣ , ٨٤).

جـدول رقم ٢. نتائج تحليل GLM (٢x٣x٣) لأثر متغيرات الجنس، ومستوى تعليم الأب، ومستوى تعليم الأم في الخصائص النفسية للكذوب، وقيمة ف، والدلالة الإحصائية.

مصادر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
الجنس	٥٣٩,٦١	١	٥٣٩,٦١	٢,٤٠	٠,٠٥
مستوى تعليم الأب	٣٥٤,٨٤	٢	١٧٧,٤٢	٠,٧٩	غ.د
مستوى تعليم الأم	٥٤٥,٦٧	٢	٢٧٢,٨٤	١,٢١	غ.د
الجنس X مستوى تعليم الأب	٧٤٩,٣٨	٢	٣٧٤,٦٩	١,٦٦	غ.د
الجنس X مستوى تعليم الأم	٨٠٣,٦٢	٢	٤٠١,٨١	١,٧٩	غ.د
مستوى تعليم الأب X مستوى تعليم الأم	١٩٩٠,٥٥	٤	٤٩٧,٦٤	٢,٢١	غ.د
الجنسX مستوى تعليم الأب X مستوى تعليم الأم	١٦٣,٨٢	٢	٨١,٩١	٠,٣٦	غ.د
التفاعل بين المجموعات	٤٧٤٧,٤٨	١٥	٣١٦,٥٠	١,٤١	غ.د
التفاعل داخل المجموعات	٣٧٨١٥,٥١	١٦٨	٢٢٥,٠٩		
المجموع الكلي	٤٢٥٦٢,٩٩	١٨٣			

كما أشارت النتائج في جدول رقم ٢ إلى عدم وجود أثر دال إحصائيا لمتغير مستوى الأب [ف = ٧٩ , ٠ ، د . ح = ٢ ، ١٦٨ ، غير دالة إحصائيا]، ولمتغير مستوى تعليم الأم [ف = ٢١ , ١ ، د . ح = ٢ ، ١٦٨ ، غير دالة إحصائيا]، ولتفاعل متغيري الجنس ومستوى تعليم الأب [ف = ٦٦ , ١ ، د . ح = ٢ ، ١٦٨ ، غير دالة إحصائيا]، ولتفاعل متغيري

الجنس ومستوى تعليم الأم [ف = ١,٧٩ ، د.ح = ٢ ، ١٦٨ ، غير دالة إحصائيا]، ولتفاعل مستوى تعليم الأب ومستوى تعليم الأم [ف = ٢,٢١ ، د.ح = ٤ ، ١٦٨ ، غير دالة إحصائيا]، ولتفاعل متغيرات الجنس ومستوى تعليم الأب ومستوى تعليم الأم (ف = ٣٦,٠٣٦، د.ح = ٢ ، ١٦٨ ، غير دالة إحصائيا)في الخصائص النفسية للكذوب.

مناقشة النتائج

لم تؤيد النتائج الموضحة في جدول رقم ٢ صحة اختبار الفروض الأول بينما دعمت صحة اختبار الفرض الثاني، والثالث، والرابع، والخامس، والسادس، والسابع.

كما أوضحت النتائج أن الإناث أكثر ميلا للكذب من الذكور، ويتفق هذا مع ما انتهت إليه بعض الدراسات [١٧، ص ٣٤٥]. ويرى الباحثان أن الأنثى ربما تلجأ إلى الكذب أكثر من الذكر لحماية نفسها من بعض المواقف التي تجلب عليها الحرج وبعض المخاطر، مثلما فعلت إمرأة العزيز مع يوسف عليه السلام ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة يوسف، آية ٢٥].

وللقضاء على هذا الوباء اللعين سواء بين الإناث أم الذكور لا بد لنا بادئ ذي بدء من أن نسبر أغوار طبيعة النفس البشرية المسلمة بشكل أخص والوقوف على مدى إمكانية تخطي الأمراض التي تعتريها بين فترة وأخرى، والتي قد تسبب لصاحبها الكثير من الأزمات والاضطرابات النفسية التي قد تعوق مسيرة حياته السوية وتبعده عن الصحة النفسية والتي هي مطلب كل إنسان. حيث إن سائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانب النفس، فالمواد الفاسدة كلها تنصب، ثم تنبعث منها إلى الأعضاء، وأول ما تنال القلب وقد كان رسول الله ﷺ يقول في خطبه: «الحمد لله نستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.» واستعاذ ﷺ من شرها عموما، ومن شر ما يتولد منها من الأعمال ومن شر ما يترتب على ذلك من المكارة والعقوبات [١٥، ص ٧٤]. ويقول الله عز وجل في محكم آياته: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [سورة النازعات، الآيات ٣٧ - ٤١]. فالنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والرب يدعو عبده إلى خوفه ونهي النفس عن الهوى، والقلب بين الداعيين، يميل إلى هذا الداعي

مرة وإلى هذا مرة، وهذا موضع المحنة والابتلاء، وقد وصف سبحانه النفس في القرآن بثلاث صفات: المطمئنة، والأمَّارة بالسوء، واللوّامة، فاختلف الناس: هل النفس واحدة، وهذه أوصافها أم للعبد ثلاث أنفس؟ نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة. فالأول: قول الفقهاء والمتكلمين، وجمهور المفسرين، وقول محققي الصوفية، والثاني: قول كثير من أهل التصوف. والتحقيق: أنه لا نزاع بين الفريقين، فإنها واحد باعتبار ذاتها، وثلاث باعتبار صفاتها، فإذا اعتبرت بنفسها فهي واحد، وإن اعتبرت مع كل صفة دون الأخرى فهي متعددة. وما أظنهم يقولون إن لكل أحد ثلاث أنفس: كل نفس قائمة بذاتها، مساوية للأخرى في الحد والحقيقة، وأنه إذا قبض العبد قبضت له ثلاث أنفس، كل واحدة مستقلة بنفسها [١٥، ص ٧٦]. فالنفس إذا سكنت إلى الله، واطمأنت بذكره، وأنابت إليه، واشتاقت إليه، وأنست بقربه، وهي التي يقال لها عند الوفاة ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [سورة الفجر، الآيتان ٢٧، ٢٨]. وحقيقة الطمأنينة: السكون والاستقرار، فهي التي سكنت إلى ربها، ولم تسكن إلى سواه، فقد اطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكره، واطمأنت إلى أمره ونهيه وخبره، واطمأنت إلى لقائه ووعده. وإذا كانت بضد ذلك فهي أمارة بالسوء تأمر صاحبها بما تهواه: من شهوات الغي، وأتباع الباطل، فهي مأوى كل سوء، وإن أطاعها قادته إلى كل قبيح وكل مكروه. وقد أخبر سبحانه أنها أمارة بالسوء ولم يقل «آمرة» لكثرة ذلك منها، وأنه عادتها ودأبها إلا إذا رحمها الله وجعلها زاكية تأمر صاحبها بالخير فذلك من رحمة الله، لا منها. فإنها بذاتها أمارة بالسوء، لأنها خلقت بالأصل جاهلة ظالمة، إلا من رحمه الله، والعدل والعلم طارئ عليها بإلهام ربها وفاطرها لها ذلك، فإذا لم يلهمها رشدها بقيت على ظلمها وجهلها. فلم تكن أمارة إلا بموجب الجهل والظلم، فلولا فضل الله ورحمته على المؤمنين ما زكت منهم نفس واحدة، وبهذا يُعلم أن ضرورة العبد إلى ربه فوق كل ضرورة، ولا تشبهها ضرورة تقاس بها، فإنه إن أمسك عنه رحمته وتوفيقه وهدايته طرفة عين خسر وهلك [١٥، ص ٧٧].

وأما النفس اللوامة فاختلف في اشتقاق هذه اللفظة، هل هي من التلوم، وهو التلون والتردد، أو هي من اللوم؟ وعبارات السلف تدور على هذين المعنيين، قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس: ما اللوامة؟ قال: هي النفس اللؤوم. وقال مجاهد: هي التي تُنَدَّم

على ما فات وتلوم عليه. وقال الحسن: إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه على كل حالاته، يستقرها في كل ما يفعل فيندم ويلوم نفسه، وإن الفاجر ليمضي قدما لا يعاتب نفسه؛ وأما من جعلها من التلوم فلكثرة ترددها وتلومها، وأنها لا تستقر على حال واحد. الأول أظهر فإن هذا المعني لو أريد لقيل: المتلومة كما يقال: المتلونة والمترددة لكن هو من لوازم القول الأول، فإنها لتلومها وعدم ثباتها تفعل الشيء ثم تلم عليه. فالتلون من لوازم اللوم. والنفس قد تكون تارة أمّارة، وتارة لوامة، وتارة مطمئنة، بل في اليوم الواحد والساعة الواحدة يحصل منها هذا وهذا. والحكم للغالب عليها من أحوالها، فكونها مطمئنة وصف ومدح لها. وكونها أمّارة بالسوء وصف ذم لها. وكونها لوامة ينقسم إلى المدح والذم، بحسب ما تلوم عليه [١٥، ص ٧٨].

وبعد هذا الاستعراض العام لطبيعة النفس البشرية وصفاتها والتي وصفها أيضا أحد علماء النفس الغربيين وليم جيمس بقوله: إنها عبارة عن المجموع الكلي للأشياء التي يمكن أن يطلق عليها الفرد بأنها تخصه [١٩، ص ٦٩].

وأول أصل من أصول العلاج هو محاسبة النفس بشكل دائم كما قال الرسول ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله» رواه الإمام أحمد وغيره. ودان نفسه: أي حاسبها. وذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منك خافية.» وقال الحسن: «إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكان المحاسبة من همته.» وقال ميمون بن مهران: «لا يكون العبد تقيا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه لهذا قيل: النفس كالشريك الخوان، إن لم تحاسبه ذهب بمالك.» وكان الأحنف بن قيس يجيء إلى المصباح، فيضع إصبعه فيه، ثم يقول حسّ يا حنيف... !! ما حملك على ما صنعت يوم كذا.. ؟؟ [١٥، ص ٧٩].

وقال بعض الحكماء: من استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هفواتها، ومنعت قلبه من الفوائد، من سقى أرض الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجرة الندامة. إن الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة ضروب، خلق الملائكة

وركّب بهم العقل ولم يركب فيهم الشهوة، وخلق البهائم وركب فيها الشهوة، ولم يركب فيها العقل، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة. فمن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه، ومن غلب عقله شهوته، فهو خير من الملائكة [٢٣، ص ٣١].

وهدف محاسبة النفس تربية النفس على أن تكون نفس الإنسان مطيعة له، لأنها إذا أطاعته ملكها، وإذا عصته ملكته ولم يملكها، ومن لم يملك نفسه، فهو بأن لا يملك غيرها أحرى، ومن عصته نفسه كان معصيته غيرها أولى، وتربية النفس تأتي عن طريق النصح والانقياد. أما النصح فهو بالنظر إلى حقائق الأمور، فيرى الإنسان الرشد رشدا ويستحسنه، ويرى الغي غيا ويستقبحه، فهو أن تسرع إلى الرشد إذا أمرها، وتنتهي عن الغي إذا زجرها هكذا يكون من قبول النفس إذا كفيت منازعة الشهوات [٢٤، ص ٣٥٩].

ونستخلص من هذا أن المرء المسلم إذا لم يحاسب نفسه على كذبه وعدم التزامه بالصدق، سواء كان في القول أو العمل فإنه على شفا هاوية.. !! وعلى خطر كبير فالكذب رذيلة محضة تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها وعن سلوك ينشئ الشر إنشاء، ويندفع إلى الإثم من غير ضرورة مزعجة، أو طبيعة قاهرة [٢٥، ص ٣٥].

وأيضا من واجب كل مسلم تقديم النصح المغلف بالورود والزهور التي تعبق ابتسامةً وحبا وإخلاصا لأخيه المسلم الآخر، وعدم تركه ينغمس في مرض الكذب وألوانه [٢٦، ص ٦٠]. ويجبذ أن يتصف الناصح بصفات حتى يتسنى للمنصوح الأخذ بها وتطبيقها [٢٧، ص ٧٩]. وأيضا ينبغي على الناصح وخاصة إذا كان في الوسط الاجتماعي فالناس في المجتمع البشري متفاوتون، و قدراتهم العقلية ومدى فهمهم واستيعابهم للأمور متفاوتة، فعليه أن يخاطبهم على قدر عقولهم، لقد استشهد ابن قيم الجوزية بأثر لعلي رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكَذب الله ورسوله.. ؟؟» كما استشهد أيضا بأثر لابن مسعود رضي الله عنه فقال: «ما أنت بمحدّث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» [١٨، ص ٤٥٣].

ويأمل الباحثان إجراء مزيد من البحوث للكشف عن الديناميات النفسية للشخص الكذوب، ودراسة الأسباب التي تؤدي بالفرد إلى الكذب.

المراجع

[١] الأفريقي، ابن منظور. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر، د.ت.

[٢] الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة. *الأخلاق الإسلامية وأساسها*. ط٣. بيروت: دار القلم، ١٩٩٢م.

[٣] الإمام النووي. *الأذكار*. بيروت: مكتبة القدس لنشر التراث الإسلامي، د.ت.

[٤] البخاري ومسلم. *اللؤلؤ المرجان فيما اتفق عليه الشيخان*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

[٥] الإمام العسقلاني، ابن حجر. *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*. بيروت: دار المعرفة، د.ت.

[٦] الإمام البغوي. *شرح السنة*. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م.

[٧] الإمام النووي. *صحيح مسلم بشرح النووي*. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

[٨] الهاشمي، محمد علي. *شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة*. بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨٣م.

[٩] علام، محمد مهدي. *فلسفة الكذب*. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٨٧م.

[١٠] البستاني، محمود. *دراسات في علم النفس الإسلامي*. بيروت: دار البلاغة، ١٩٨٨م.

[١١] جاد المولى، محمد أحمد. *الخلق الكامل*. القاهرة: المطبعة العثمانية المصرية، ١٩٣٦م.

[١٢] طبارة، عفيف عبدالفتاح. *روح الدين الإسلامي*. ط ٢٧. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٨م.

[١٣] السقا، مصطفى. *أدب الدنيا والدين*. ط٤. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م.

[١٤] المشوخي، إبراهيم. *آفات اللسان*. ط٣. الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٥م.

[١٥] الإمام ابن قيم الجوزية. *رسالة في أمراض القلوب*. الرياض: دار طيبة، ١٤٠٣م.

[١٦] أيوب، حسن. *السلوك الاجتماعي في الإسلام*. ط٣. الكويت: دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.

[١٧] القوصي، عبدالعزيز. *أسس الصحة النفسية*. ط٩. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨١م.

[١٨] عريفج، سامي. *علم النفس التطوري*. ط٢. عمان: دار مجدلاوي، ١٩٨٧م.

[١٩] عرقسوسي، محمد خير، ومحمد مصطفى زيدان، ويوسف القاضي. *التعلم نفسيا وتربويا*. ط٢. الرياض: دار اللواء، ١٩٨٣م.

[٢٠] منصور، محمد جميل. *قراءات في مشكلات الطفولة*. ط٢. جدة: الكتاب الجامعي، ١٩٨٤م.

[٢١] الأنسي، عبدالله علي، وصالح سالم باقارش. *مشكلات وقضايا تربوية معاصرة*. مكة المكرمة: دار الثقافة للطباعة، ١٩٩٢م.

[٢٢] ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبدالله. *الصمت وحفظ اللسان*. تحقيق وتعليق أحمد عاشور. الدمام: دار القافلة، ١٩٨٦م.

[٢٣] حجة الإسلام الغزالي، أبو حامد. *مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب*. خرج آياته وراجعه وصححه بهيج غزاوي. بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٨٣م.

[٢٤] مصطفى، علي خليل. *قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي من خلال كتاب أدب الدنيا والدين*. القاهرة: دار الوفاء، ١٩٩٠م.

[٢٥] الغزالي، محمد. *خلق المسلم*. ط٨. القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٧٤م.

[٢٦] البلالي، عبدالحميد. *البيان في مداخل الشيطان*. ط٦. بيروت: مؤسسة الرياض، ١٩٨٦م.

[٢٧] الإمام الشافعي، محمد ابن أدريس. *ديوان الشافعي*. تحقيق وشرح يوسف الشيخ محمد البقاعي. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٦م.

[٢٨] الحجاجي، حسن علي. *الفكر التربوي عند أبن القيم*. الرياض: دار الهدى، ١٩٨٨م.

Differences in the Psychological Traits of the Liar as Related to the Variables of Sex and the Parents' Level of Education

Rashad A. Mousa and Ibrahim S. Al-Sabaty

Psychology Dept., College of Education,
King Faisal University, Al-Ahsa, Saudi Arabia

Abstract. The study attempted to find out the differences in the psychological traits of the liar as related to the variables of sex and the parents' level of education. The hypotheses are:

1. There is no significant effect of the sex variable on the psychological traits of the liar.
2. There is no significant effect of the father's level of education on the psychological traits of the liar.
3. There is no significant effect of the mother's level of education on the psycholoical traits of thge liar.
4. There is no significant effect of the interaction of the variables of sex and the father's level of education on the psychological traits of the liar.
5. There is no significant effect of the interaction of the variables of sex and the mother's level of education on the psychological traits of the liar.
6. There is no significant effect of the interaction of the father's and mother's levels of education on the psychological traits of the liar.
7. There is no significant effect of the interaction of the variables of sex and the father's and mother's levels of education on the psychological traits of the liar.

The study resulted in the rejection of hypothesis 1, and the confirmation of hypotheses 2,3,4,5,6 and 7. The results were interpreted in terms of the theoretical framework of the concept of lying.

Recommendations have been proposed, and further research has been suggested.